اوصاف القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق الظلمة والنور، الجاعل الظل والحرور، المعطي بالحكمة والتقدير، للشاكر والكفور، عطاءً غير محظور، والصلوٰة على خير خلقه محمد البشير النذير، صاحب الذكر المنير، والوحي المنشور،

اما بعد فهذا كتاب من مقدمة نظام القرآن افردناه لمعرفة اوصاف القرآن على سبيل الاجمال لشدة الحاجة اليها فان فهمه والانتفاع به يختلف حسبما يحسبه المرء.

لكتاب اوصاف القرآن

(١) ان في القرآن هدى على المعاش فيعلم الانسان منه كيف يعيش وكيف يختار من المشاغل ولابد فانه هدى للناس فلو لم يهدهم في ذلك لم يكن هدى في معظم امورهم. وبالجملة فالقرآن يرشد الناس في معاشهم كما يرشدهم في معظمات دينهم من فروع الفقه والعقائد والسياسة وامور المنزل. وذلك بان الرب تع جعل للخلق اعمالا اقدرهم لها كما قال تع: [الذى خلق فسوى. والذى قدر فهدى] فهدى الخلق بالفطرة اى اعطاهم وجوه طلبها واستعمال قواهم. فهكذا هدى الانسان بما اودعهم من القوى اى وجوه مشاغلهم. وعلى هذا الاصل لابد ان يعرف الانسان ما يليق به من الاعمال الخاصة فيكون منهم من يشتغل بخدمة دينية والرب تعالى يتقبل عمله. قال تع: [ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد] فمن يفرغ نفسه لخدمة دينية يكفله الله و يهيئ له ما يحتاج اليه من الحوائج ولا ينبغي لاحد ان يجهل ما قدر له. وانما يغفلون بهمزات الشيطان من الامانى الباطلة من حب الشهوات وزهرة الحيوة الدنيا قال تع: [وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى.] قال المسيح عليه السلام لحوارييه اطلبوا الملكوت اولا ويأتيكم من الجنة من غير طلب

(خلاصة) وهكذا وعد الله المسلمين من الخلافة والنصرة.

(٢) لا يشغل احد الا بما هو اولى به فذلك ما يشرى له نفسه قال العلماء قيمة المرء ما يحسنه فليشتغل كل واحد بما يحسنه فهو عمله من الله تع ولا تكون نيته الا الطاعة لربه فالامير والعمال والتاجر والزارع والمعلم والطبيب و سائر اصحاب المشاغل كلهم اذا طلبوا مرضاة الرب فقد عبدوا الله والله الرازق هو الله تع من كل وجه كما قال تع: [ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون] فان العبادة هي المقصود قال تع: [وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون. ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون. ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين.] فالمقصود ليس الا عبادة الله وحدها.

(٣) ليس لاحد ان يشكو ان الله تع لم يجعله على معالى الامور فان قيمة العمل حسب التقوى والاخلاص قال تع: [ان اكرمكم عند الله اتقكم] فكل منهم يبتليه الله بما اعطاه فالغنى والمفتقر في ذلك سواء والله تع اعلم بعباده فيجعل لكلهم وظيفة وعملا ان احسن فيه فقد ارضى الرب والعمل الكبير ذمته ايضا كبيرة والعمل الصغير ذمته صغيرة فكبار الاعمال يصعب على ذي منة ضعيفة فليرض كل واحد بما يسر له من العمل ويرضى به

القرآن ليس بشعر

(١) بناء الشعر على التأثير بالظاهر مما يهيج وإظهاره بصوت يناسبه. ولذلك يتأثر له الناس من جهة ظاهر تخيلهم. وأما التأثر من النظر في عواقب الأمور وغوامضها وإظهاره بكلام وصوت مناسب فذلك ما يتأثر له العقلاء والصلحاء وهذا أرفع من الشعر ولذلك قال النبي ﷺ "إن من الشعر لحكمة" أي ليس الشعر كله خطابا إلى التخييل المحض بل منها ربما يكون ما هو تتضمن حكمة. فالشعر مولع بالظاهر وزخارفه وسحر القلوب وتخليب العقول بما يشغلهما بالصور الباطلة والمقدمات الكاذبة وعليها رونق التخيل ولما كان هذا غالب شعر العرب والعجم ومن هذه الجهة كان الكفار يتهمون النبي بالشعر لما كانوا يرون سلطان القرآن على القلوب وكانوا يظنون الحق الذي فيه باطلا سموه شعرا. ولذلك قال الله تع [وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين] فلم ينف كون القرآن شعرا إلا من حيث كون الشعر خلاف الذكر والقول الفصل. ثم الوزن الذي هو جزء من الشعر سواء كان الشعر حكمة أو تخييلا باطلا فهذا أيضا منفي عن القرآن لكونه كلاما في غاية الوقار والهيبة خطابا من الإله الرب إلى عباده والوزن فيه شعبة من اللعب ولذلك قال لا ينبغي له فإن مكان الرسول أرفع وأجل من كل ما يشبه التلهي وقلة الجد في عيون السامع فإنه يخاطبهم بالقول الفصل غير الهزل ويدعوهم إلى ربهم للتوبة والإنابة ويبلغهم قول الله يدعوهم ليستغفروه.

القرآن ليس بشعر

ذم بناء الشعر على التأثير بالظاهر ما يهيج وإنشاده بصوت يناسبه . ولذلك يتأثر الناس من جهة ظاهر تخيلهم وإنما التأثير من النظر في عواقب الأمور وغوامضها وإنشاده بكلام وصوت مناسب فذلك ما يتأثر به العقلاء والجهلاء . وهذا أرفع من الشعر ولذلك قال النبي ص "إن من الشعر لحكمة" أي ليس الشعر كله خطاب التخيل المحض بل منها ما يكون ما هو يتضمن حكمة . والشعر مولع بالظاهر وزخارفه وسحر القلوب وتغليب العقول بشغلها بالصور الباطلة والمقدمات الكاذبة وإظهار دقائق التخيل ولما كان هذا غالب شعر العرب والعجم ومن هذه الجهة كان الكفار يتهمون النبي بالشعر لما كانوا يرون سلطان القرآن على القلوب وكانوا يظنون الحق الذي فيه باطلا سموه شعرا . ولذلك قال ردا [وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين] فلم يعرف كون القرآن شعرا إلا من حيث كون الشعر خلاف الذكر والقول الفصل . ثم الوزن الذي يوجد في الشعر سواء كان الشعر حكمة أو تخيلا باطلا فهذا أيضا منفي عن القرآن لكونه كلاما في غاية الوقار والهيبة خطابا من الأكبر الأرب إلى عباده والوزن فيه خفة من التطرب ولذلك قال لا ينبغي له فإن مكان الرسول أرفع وأجل من كلام يشبه التلهي وقلة الفكر في عيون السامع فإنه يخاطبهم بالقول الفصل غير التنزل ويدعوهم إلى ربهم للتوبة والإنابة ويبلغهم قول الله يدعوهم ليستغفروه .

تذكرة : القرآن محكم ما أنزل من قبل ويبين بعض ما اختلفوا فيه . ويصحح ما زيد فيه تكميلا أو بوضع ما كان من الأوهام والأغلاط أو ما يكره من قبل تفسيرهم ( )

القرآن محفوظ كما هو في اللوح المحفوظ . ونظمه وترتيبه كلاهما من الله .

لكتاب اوصاف القرآن

(القرآن اقرب الى فطرة العقول السليمة)

زعموا ان القرآن محتاج الى بيان النبي اياه فلا شك ان بيان النبي صلى الله عليه وسلم حسن واوثق ولكنه صلى الله عليه وسلم تلا آيات بينات على قوم اذكياء ولم يشرح لهم ليتفكروا فيه ويخرجوا خزائنه بقوة ادراكهم وذلك هو الطريق لتعليم الحكمة وتربية العقول لا كالمعلم السيئ الذي يلقن كملقن الببغاء ويسوق كسائق العميان.

هذا ولا متمسك لهم في قوله تعالى: [وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون] فان هذا دليل على ضد قولهم.

ومع ذلك ربما اشار لهم الى فهم بعض ما دق وفهم من فهم من اذكياء الصحابة ولذلك كانوا يتدارسون القرآن ويعرضون فهمهم فيما بينهم.

ولذلك ترى القرآن شديد المطابقة بالآيات التي جعلها الله في الآفاق والانفس ولذلك ترى من فكر في آيات الفطرة او كان مستعدا للنظر سارع الى القرآن فانه اذا تليت عليه آياته لم يجد منها الا تأييدا لما تبينه، او تبيينا لما لمح له، او تنبيها على ما غفل عنه، او زيادة فيما وجد بعضه، او تسديدا لما قد كاد يحيد فيه عن الحق، او حلا لما اشكل عليه، او اثارة لمسألة لم تسنح له من قبل. ولذلك ترى اولي النظر والعلم واللب يسارعون اليه كمن طلب فوجد وقد بين القرآن هذه الاوصاف لنفسه فقال: [بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون]

ولذلك ما دل باسمائه من الذكر والبصائر والتبيان والهدى والنور والشفاء واشباه ذلك

(١) قال تعالى: [وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون] اى كما جعل احد الانسان ذا سمع وبصر فكذلك جعله
ذا فكر وعقل وذلك انعم عليهم ليشكروه. فانه تعالى كما جعل مسرة الانسان فى استعمال سمعه وبصره فكذلك جعل مسرته فى العلم
والمعرفة بحقائق الاشياء وجعل نعمة المعرفة ما فضله به على اكثر الخلق. ثم امد السمع والبصر بالهواء والضياء وكذا امد الفكر
بآياته فى الانفس والآفاق ولولا غفلة الناس عن الآخرة لما احتاج الى تذكير فى امورها فانه لم يزل يستعمل فكره فى
منافع هذه الحيوة ويزداد يوما فيوما ولكنه كثير الغلط فى امور الديانة فلذلك ارسل احد الرسل فدعوهم الى ربهم
بالموعظة وبشيء من الاستدلال حتى جاء القرآن الحكيم فحينئذ ترى الدعوة على اتم رعاية لتربية العقول فانه حثهم
على استعمال النظر فى آيات الفطرة فما جاء القرآن الا بامر بين ولم يبصروه لا لخفائه ولكن لغفلتهم فنبههم عليه وحثهم على
النظر والفكر لكى تكمل تربيتهم ولكيلا يكونوا من المقلدين فى امر الدين ولكى يحصل لهم كمال الايمان واليقين. كما
اشار اليه فى قوله تعالى: [وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين].

(٢) ومع ان آيات الفطرة الخارجة منشورة بين ايدى الناس ترى عقولهم قاصرة فى استبصارها ومن ههنا تتضح
شدة الحاجة الى الاهتداء بنور ما انزل من الهدى والفرقان ولذلك ترى المتفلسفين والمشتغلين بما ابتدعوا من العقليات
فى اختلاف شديد مع طول الزمان ومع افراغ جهدهم فى سعيهم فتراهم يناقض بعضهم بعضا ويهدم اللاحق ما بناه السابق
حتى لا ترجى اتفاقهم او تقاربهم بعد من هذه الاحقاب الممتدة. فمن سلك هذا السبيل او اشتغل بمقالاتهم لا بد ان يطلع
على المسائل التى توجهوا اليها والادلة التى تمسكوا بها ولا شك ان هذه المسائل على اقصى جانب من الاهمية وعدم
القول الفصل بينها من اشد الجهالات والياس فيها من اكبر المصائب بل لا قيمة للحيوة ولا لذة فى العيش حتى
يرتفع الحجاب ويطمئن القلب. فمنهم من اخذ مذهبا لنفسه وسكن اليه مع مخالجة شك لا يكاد يتخلص منه ومنهم من
لم يتخذ مذهبا بل يئس من وجدان الحق وهم اكثر. فهذه حالة اهل العقول والافكار من الذين لم يهتدوا بما انزل الله
من الآيات الكبرى فى صدورهم واغتروا بعقولهم والكبر والعجاب. والقرآن قد بين ذلك حيث قابل بين المؤمنين و
الذين لم يؤمنوا فى آية النور حتى قال: [ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور]. وليس المقصود ههنا تفصيل امرهم
انما ذكرنا ذلك لنعلم ان القرآن مع كونه اقرب الى العقول ليست هى فى غنى عنه كما ان الضياء اقرب الى العيون
ولكنها ليست فى غنى عن الضياء. ومما يدل على كلا الامرين انك ترى القرآن يوافقه اصول الحكماء على البديهة فوافقه
القرآن بعضهم فى امر وبعضهم فى امر آخر تدل على ان آيات الفطرة لم تكن على بعد ولذلك مروا اليها ولكنهم لم يهتدوا الى
آخر النتيجة لضلتهم فى تركيب هذه الامور البينة بل لزيغهم فى استدلالهم بالخوض فى جانب وانكار الجانب وكمال الفهم والسداد
انما يظهر فى التركيب وكذلك عظم المصالح والمحاسن فى كل صنعة ولذلك ترى القرآن لا يدعى انه جاء بما لم يهتد اليه احد
بل يذكرهم ما اودع فى قلوبهم ثم نسوه وهم فانهم ضلوا بما لم يهتدوا فى خطواتهم.

من كتاب اوصاف القرآن

القرآن حسن تعليما للحكمة والفكر

(١) كما ان الفطرة مشتملة على الحكمة وآياتها ومهيجة الى الفكر والنظر فكذلك القرآن. ومن حسن تعليمه انه مهيج الى النظر والفكر مع اشتماله على اصول الحكمة والاستدلال ولكن ذلك ليس على طريق اشتمال الكتب المصنفة في ذلك. مثل ما ترى في الخطب البليغة المشتملة على ضرب الامثال وفنون البيان من التشبيه والاستعارة والاستدلال او كما ترى قصائد فحول الشعراء المشتملة على فنون محاسن الشعر ثم تقابلها بالكتب المدونة في علم البلاغة والشعر فترى الاول ما فيه نفس البلاغة. والثاني ما هو شرح ذلك والشرح ربما يقصر عن تمام البيان لما في نفس تلك البلاغة الموجودة كما ترى العلوم في الطبعيات والنفس تقصر دون ما في نفس قوانين الطبيعة

من كتاب أوصاف القرآن

[كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب]

(1) التدبر هو النظر في أدبار الشيء وما وراء الظواهر وذلك من حيث الوجود ما يتقدمه وما يتأخر عنه فمن تدبر الشيء اطلع على أسبابه وعلله وشرائط وجوده وكذلك اطلع على ما يتبعه من الآثار. وأما التذكر فهو الوقوف على ما غفل عنه ونسي من المعارف وأصول الإرادة التي أودع فطرة النفس. فالتدبر يكون في آيات القرآن وما دل عليه من المعاني وكذلك فيما اشتمل من آيات الكون التي نبه عليها القرآن تصريحا أو تلويحا. فمن تدبر في هاتين الآيتين انتبه فيه قوى الفطرة النظرية والعملية فوجد الإيقان والبر والشكر والخشية والرغبة إلى الأعمال الصالحة المزكية والنفرة من السيآت وأمراض النفس ووجد حماسة جديدة وحيوة عالية زكية وتنافسا في الخيرات ومعالي الأمور. وهذه النتائج التي تحصل للنفس هي الخير الكثير والسعادة الكبرى والقرآن الحكيم أنزله القرآن على وصف ليفيد هذه الفوائد ولذلك سماه مباركا. ولكن لا ينتفع به إلا من له لب وفهم وصلاحية لذلك كالمطر الذي هو بركة ورحمة ولكن لا تخرج بركاته إلا الأرض الطيبة. وقد صرح القرآن بذلك في غير ما آية مثلا: [هدى للمتقين] [هدى ورحمة للمحسنين] [. . . .